جروح فلسطينيٍّ أمريكا المفتوحة: عندما يُقتل أهلك بأموال ضرائبك

كتبه جورج كويسي | 26 ديسمبر ,2023

ترجمة وتحرير: نون بوست

في الآونة الأخيرة، بدأ مقطع فيديو قوي في الانتشار على الإنترنت؛ حيث ظهر في المقطع القصير رجل فلسطيني من نيوجيرسي يتحدث عن غزة، وظهر إحباطه العميق بوضوح لاذع عندما أدان الحكومة الأمريكية بينما استنكر المفارقة القاسية المتمثلة في أن ضرائبه تساهم في قصف حيه وقتل عائلته. ظل الفيديو عالقًا معي، وبدأت أفكر فيما يجب أن تشعر به عندما تعرف أن حكومتك هي التي تسمح بارتكاب جرائم حرب ضد شعبك. وما هو الشعور الذي يجب أن تشعر به عندما تعلم أن حقوق شعبك تأتي في مرتبة متأخرة أمام المصالح الجيوسياسية؟

ولأنني أعيش في منطقة تضم أكبر تجمع للفلسطينيين في البلاد؛ قررتُ التواصل مع اثنين من الفلسطينيين المحليين وأطلب منهم مشاركة قصصهم حول ما يشعر به الفلسطينيون في هذه اللحظة. ومن خلال الدفع بالسرديات والدعاية المتنافسة، أردتُ أن أركز على أصوات الأمريكيين من أصل فلسطيني، الذين يتم تجريد أقاربهم من إنسانيتهم حيث يتم تحويلهم إلى مجرد أضرار جانبية.

الجروح المفتوحة

رامي بدر صيدلي يبلغ من العمر 34 سنة من كليفتون، وولد رامي في مدينة باترسون، وقد خدم احتياجات المجتمع لأكثر من 10 سنوات.

لقد التقيتُ رامي لتناول القهوة في موكافي، وهو مقهى فلسطيني/ يمني جديد يقع على طريق فلسطين في جنوب مدينة باترسون. بدأنا محادثتنا بمشاركة القصص حول تربيتنا، وأدركنا أنه كان لدينا الكثير من القواسم المشتركة، فكلانا من الجيل الأول من الأمريكيين المولودين في مدينة باترسون. ومع ذلك، كان ذلك يتعلق بمدى التشابه بيننا. ورامي هو الوحيد في عائلته المولود في الولايات المتحدة؛ حيث وُلد كل من إخوته الأربعة الآخرين في بلدان مختلفة عبر الشرق الأوسط. وهذا ليس بالأمر غير المعتاد؛ حيث إنه من الصعب جدًّا على الفلسطينيين الاستقرار في المناطق المحيطة، نظرًا لكراهية الأجانب والجغرافيا السياسية. ومع ذلك، حتى لو أتيحت لهم الفرصة لإعادة التوطين؛ فإن العديد من الفلسطينيين سيترددون لأن ذلك يعني ترك هويتهم الفلسطينية وراءهم وأي أمل في العودة إلى ديارهم التي طردوا منها في سنة 1948.

وفي حين أن جميع أنواع النقل تنطوي على صعوبات خاصة بها، كان من الصعب الاستماع إلى تاريخ عائلة رامي بشكل خاص، فلقد أُجبر والداه على الخروج من قريتهما كريتا خلال النكبة، وقام لواء جفعاتي بتدمير جميع منازل القرية وقام بتطهير عرقي لجميع سكانها. وهو يروي ذكريات هذه الفترة من والده: "أشعر وكأنه قال لي هذا بالأمس: لقد أُجبر على الخروج من منزله عاريًا، وأجبر على الفرار ووضع في مخيم جباليا في غزة... أما والدتي، كان من الصعب دائمًا حملها على مشاركة المعلومات حول ماضيها... كنت أرى الألم في عينيها دائمًا لأنها تظل صامتة كلما سألتها".

> إني أشعر بالخيانة من بلدي الولايات المتحدة. أنا أدفع ضرائبي؛ لذا فإن الحكومة تدين لي بالكياسة والسلام في تلك المنطقة

إن جباليا هو أكبر مخيم للاجئين في غزة، حيث كان يعيش فيه 116,011 فلسطينيًا مسجلًا قبل القصف الإسرائيلي الأخير. وكان مخيم جباليا للاجئين قد تعرض للقصف من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي في 31 تشرين الأول/ أكتوبر، وتشير أحدث الأرقام إلى مقتل ما يقرب من 200 شخص من الذين يبحثون عن لاجئين هناك بعد الضربة المباشرة. إن صاروخ جدام الذي ضرب المعسكر من صنع شركة بوينغ، والتي ارتفع مخزونها بنحو 15 بالمائة خلال الشهر الماضي. واستقال مدير مكتب نيويورك للمفوضية السامية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة في اليوم التالي، واصفًا ما حدث بأنه "قضية إبادة جماعية نموذجية".

ولم تعد قرية كريتا تظهر على الخرائط؛ فمنذ تأسيس إسرائيل وطرد أكثر من 700 ألف فلسطيني من أراضي أجدادهم، بما في ذلك والدي رامي، تم محو قرى مثل كريتا فعليًا وحلت محلها

مستوطنات إسرائيلية جديدة. وتمت الموافقة على النكبة بموجب قرار الأمم المتحدة رقم 181، مما أدى إلى تقسيم فلسطين التاريخية، التي تضاءلت مساحتها منذ ذلك الحين بسبب الغزوات الإسرائيلية العديدة والمستوطنات.

لقد كان السابع من تشرين الأول /أكتوبر مختلفًا، لكنه كان أكثر من نفس الشيء. وعندما سئل عن رده على الدعوى القضائية، قال: "تشهد فلسطين هذا النوع من العنف كل يوم، على الأقل منذ سنة 1967. ونحن نعيش في رعب في غزة والضفة الغربية. إني أشعر بالخيانة من بلدي الولايات المتحدة. أنا أدفع ضرائبي؛ لذا فإن الحكومة تدين لي بالكياسة والسلام في تلك المنطقة. ويجب عليهم على الأقل إخراج الأمريكيين من المنطقة إذا كانوا مهتمين حقًا. إنه أمر سيء، لأنني أقوم تقنيًا بتمويل قتل شعبي... أنا متواطئ في هذه الإبادة الجماعية".

وعلى الرغم من المأساة الفريدة والكارثة الطويلة في فلسطين، إلا أن صمود الشعب الفلسطيني كان مصدر إلهام لي دائمًا. لقد شارك رامي بعض الأفكار حول ما يعنيه أن يكون فلسطينيًا: "كان والدي يحرص دائمًا على إخباري عن المكان الذي أتيت منه وعن تاريخنا. لقد [تعلمتُ بسرعة أن] أن تكون فلسطينيًا ليس بالأمر السهل... عليك أن تتعلم "المشي" في وقت مبكر [وتنضج]؛ حيث يضطر المرء إلى احتواء الألم الذي يشعر به". كنت أشعر بالفضول لمعرفة كيف تمكن من الموازنة بين هاتين الحقيقتين المتناقضتين ظاهريًا، أي نشأة أمريكية وأخرى تتمثل في التهجير والطرد والعنف الاستعماري، ولم أتمكن من صياغة سؤالي إلا بالكاد عندما رد رامي بكلمة فريدة ولكنها قوية: "الأمل".

> عندما يتحول الموضوع إلى فلسطين، فإن نفس الأشخاص الذين يدافعون باستمرار عن الحرية والعدالة يفشلون في الارتقاء إلى مستوى مُثُلهم المعلنة

وأوضح: "اعتقدتُ أن الأمور ستتحسن. اعتقدتُ أنه من غير الممكن أن تستمر هذه [الكارثة] لفترة أطول. كان لدي ثقة في الشعب الفلسطيني أنهم سيكتشفون الأمور وسيحصلون على المساعدة. لقد اعتقدتُ دائمًا أن الأمور ستنجح وأن الجميع سيعيشون معًا في دولة واحدة".

أخيرًا، أنهيت حديثنا بسؤال من أين يستمد هذا الأمل في أوقات اليأس. وفي جولة أخرى من السخرية، وجد رامي ذلك من خلال اليأس الذي كان يراه في كل مكان. "في مقاطع الفيديو التي يظهر فيها الآباء وهم يحملون أطفالهم المصابين... على ما يبدو ما زال لديهم أمل... لا أفهم كيف. رأيت مقطع فيديو لأطفال يلعبون تحت المطر، وشاب مبتور الأطراف يبتسم أمام الكاميرا. لا أستطيع أن أفقد الأمل في الأشخاص الذين يرفضون التخلي عن الأمل".

ومثل رامي، كنتُ أعتقد أيضًا أن الأمور ستسير على ما يرام بالنسبة للفلسطينيين. لقد تعلمنا، بعد تلقينا تعليمنا في نظام المدارس العامة في هذا البلد، أن الولايات المتحدة هي المنارة والمدافع عن حقوق الإنسان. ومع ذلك؛ كما يوضح كتاب مارك لامونت هيل وميتشل بليتنيك بعنوان "باستثناء

فلسطين"، فإن فلسطين هي استثناء حتى بالنسبة لأولئك الذين يحملون القيم التقدمية، حيث جاء في الكتاب أنه "في حين تؤيد هذه المجتمعات بشكل عام الأيديولوجيات والسياسات والممارسات والاحتجاجات التي تعكس نظرتهم للعالم، فإنها غالبًا ما تصبح بشكل ملحوظ الصمت عن محنة الفلسطينيين. وعندما يتحول الموضوع إلى فلسطين، فإن نفس الأشخاص الذين يدافعون باستمرار عن الحرية والعدالة يفشلون في الارتقاء إلى مستوى مُثُلهم المعلنة".

أكثر من مجرد أرض

انتقل محمد الجباوي إلى كليفتون من بروكلين في سنة 2004. وينحدر والداه من بلدة تسمى ترمسعيا بالقرب من رام الله في الضفة الغربية. وعلى الرغم من أنه زار فلسطين مرة واحدة فقط، إلا أن ذكريات طفولته المبكرة منذ الوقت الذي قضاه في ترمسعيا ظلت معه حتى يومنا هذا.

ورغم أن الضفة الغربية تعتمد على حكومتها، السلطة الفلسطينية، فإنها تظل منطقة ذات شبه سيادة. لقد قامت مئات المستوطنات الإسرائيلية غير القانونية المتنامية بتقسيم الضفة الغربية. إن 18 بالمئة فقط من أراضي الضفة الغربية ـ وهي إحدى المقاطعتين الإداريتين في فلسطين (الأخرى هي غزة) ـ لا تزال تحت سيطرة السلطة الفلسطينية حصريًا، وتخضع 22 بالمئة منها لسيطرة مختلطة (فلسطينية وإسرائيلية)، ويقع حوالي ثلثيها تحت الإدارة الحصرية لإسرائيل.

وحتى عندما كان طفلاً؛ كان محمد يدرك جيدًا ماهية الاحتلال، وعندما سألته كيف كان ينظر إلى الاحتلال عندما كان طفلاً، قال محمد "لم يتم شرح الاحتلال لي أبدًا، لقد ولدنا فيه للتو. لقد رأينا ذلك في كل مكان ذهبنا إليه. أتذكر شيلوه، وهي مستوطنة تقع على تلة تطل على منزل عائلتي، كان كل شيء مضاءً، ومغلقًا. وبين الحين والآخر، كان الجنود ينزلون بسيارات الجيب الكبيرة عبر حينا".

إن التمسك بالحقائق المتناقضة، مما يعني أن العدالة "من المفترض" دائمًا أن تسود بينما في نفس الوقت من المتوقع أن تعاني عائلتك؛ ببساطة يمكن أن تقود أي شخص إلى نقطة الانهيار، وخاصة الطفل الصغير. ويتذكر محمد بحزن قائلًا "أتذكر مرة في الفصل الدراسي بالمدرسة الإعدادية، لقد كنت منزعجًا جدًا من الجولة الأخيرة من القمع ضد الفلسطينيين، وسألتُ معلمتي: "كيف يمكننا الوقوف ضد الدبابات والصواريخ والطائرات المقاتلة، عندما لا يكون لدينا سوى الحجارة؟ نحن نُقتل". ثم انفجرت بالبكاء أمام الفصل بأكمله أثناء محاولتي شرح ما كنت أشعر به، لقد شعرت بالعجز الشديد تجاه الوضع طوال حياتي".

> العيش في الولايات المتحدة صعبًا للغاية مع رؤية العنف هناك، وعدم القدرة على فعل أي شيء حيال ذلك

وفي وقت سابق من هذه السنة، اجتاحت موجة جديدة من عنف المستوطنين منطقة ترمسعيا،

مما أسفر عن مقتل فلسطيني وإحراق العديد من السيارات والمنازل. ومنذ ذلك الحين، ازداد عنف المستوطنين في الضفة الغربية سوءًا. وحتى كتابة هذه السطور، قُتل حوالي 250 فلسطينيًا في الضفة الغربية منذ السابع من شهر تشرين الأول/ أكتوبر، مما يمثل واحدة من أكثر الفترات دموية في المنطقة منذ الانتفاضة.

"لقد كان العيش في الولايات المتحدة صعبًا للغاية مع رؤية العنف هناك، وعدم القدرة على فعل أي شيء حيال ذلك. كلما اكتشف أي شخص أنني فلسطيني، كانوا يقولون: "أوه، أنا آسف لما يحدث". أقدّر ذلك، وشعرتُ أن الناس يتحدثون كما لو كان نوعًا من الظواهر، ولكنني شعرتُ أن هذا وضع يمكن أن يتغير بالتأكيد ولم يكن من الضروري أن يكون بهذه الطريقة".

تفرض إسرائيل نظامًا واسع النطاق من السيطرة والرقابة والشرطة ضد الفلسطينيين، وقد وصفته العديد من المنظمات بأنه نظام فصل عنصري، بما في ذلك منظمة بتسيلم، وهي منظمة إسرائيلية لحقوق الإنسان. وقد وصفت منظمة العفو الدولية، منظمة حقوق الإنسان الشهيرة، في تقريرها عن الفصل العنصري في الأراضي المحتلة بالضفة الغربية، الوضع على هذا النحو: "يتضمن نظام الإغلاق هذا شبكة من نقاط التفتيش العسكرية الإسرائيلية، والحواجز، والطرق المسدودة، والبوابات والحواجز والسياج أو الجدار المتعرج". وبالإضافة إلى تقييد الحركة بين المجتمعات الفلسطينية، فإن الجدار يفصل الفلسطينيين عن أراضيهم الزراعية، ويعيق وصول الفلسطينيين إلى الخدمات الأساسية، مثل التعليم والرعاية الصحية والعمل.

> يسعدني أن أرى أن هناك أكثر من مصدر للمعلومات، وأن هناك أشخاصًا على الأرض يعيشون تحت الاحتلال ويستطيعون إخراج صورهم وإخبار الناس بما يحدث بالفعل. لدينا صوتنا الآن

لقد أثرت رؤية الاستجابة العالمية الداعمة للفلسطينيين في محمد. ففي حين أن "المسألة الفلسطينية" كانت في الماضي قضية أُحيلت إلى مساحات العدالة الاجتماعية والمناقشات الأكاديمية، فقد تم تناولها حاليًّا من قبل حركات متنوعة في مختلف أنحاء العالم، بدءًا من المنظمات اليهودية مثل "الصوت اليهودي من أجل السلام" و"إن لم يكن الآن، فمتى؟" وصولًا إلى حركة "حياة السود مهمة" وحركات العدالة البيئية في مختلف أنحاء العالم.

"يسعدني أن أرى أن هناك أكثر من مصدر للمعلومات، وأن هناك أشخاصًا على الأرض يعيشون تحت الاحتلال ويستطيعون إخراج صورهم وإخبار الناس بما يحدث بالفعل. لدينا صوتنا الآن".

ويقدم رامي ومحمد صورة حية للألم الذي يعاني منه بعض الأشخاص دون أن يعلم العالم الخارجي على الإطلاق. إن الاستماع إلى قصصهم يضع الصراع في منظوره الصحيح بينما يضع أحداث السابع من شهر تشرين الأول/ أكتوبر في سياقها كجزء من تاريخ أطول بكثير من المعاناة الفلسطينية.

وفي شكوى لمركز الحقوق الدستورية، تتبعوا تاريخ العنف في فلسطين إلى منتصف القرن العشرين

على الأقل، حيث كتبوا "بين سنتي 1947 و1949، لقد نفذت المشاعر التي انعكست في رسالة رئيس الوزراء المستقبلي، ديفيد بن غوريون، سنة 1937 إلى ابنه بأنه "يجب أن نطرد العرب ونأخذ مكانهم". لقد قامت الميليشيات الصهيونية بتهجير 85 بالمئة من السكان الفلسطينيين، ودمرت 531 قرية في جميع أنحاء فلسطين، وقتلت حوالي 15 ألف فلسطيني، وطردت بعنف 750 ألف فلسطيني من بيوت أجدادهم، مما جعلهم لاجئين".

وروى محمد، مستحضرا تحوله من اليأس إلى الأمل، وكيف تخلص من التشاؤم الذي كان يحمله ذات يوم، معتقدًا أنه سيكون من الأفضل السماح لإسرائيل بالسيطرة على كل شيء طالما أن هناك سلام. ولكن بكلمات تجسّد المرونة الملهمة للشعب الفلسطيني، قال "أتعلمون، لا أستطيع أن أتخلى عن وطني. هذا الكفاح لا يتعلق فقط بالأرض".

المصدر: موندويس

رابط المقال : https://www.noonpost.com/187798/